

# بعثة چوبا وكيف افادت بريطانيا من الايقاع بين مصر ووزنبار ١٨٧٥ - ١٨٧٧

د. جميل عبيد

مقدمة :

تسبب هذه البعثة الى نهر چوبا الذي هدفت للوصول اليه • ويجري جانب من هذا النهر ويصب فيما يعرف اليوم باسم بلاد الصومال على ساحل افريقية الشرقي الذي يخترقه خط الاستواء •

ان واحدا من الافكار التي حاول محمد علي تحقيقها بعد توليه شؤن مصر (١٨٠٥-١٨٤٨) كان الافادة من المنطقة العربية بأحيائها وتوحيدها فاتجه الى التوسع في السودان وولايات الشام وسواحل الجزيرة العربية على البحر الاحمر والخليج العربي ثم العراق والمناطق الواقعة ما بين الشام والاناضول ان امكن • وأطلق محمد علي على هذه البلاد اسم «عربستان» أي ارض العرب وبلادهم • ودخلت الصومال ضمن هذه البلاد خاصة وان علاقة مصر بالحجاز ونجد احيث علاقتها بمنطقة الصومال التي دخلت ضمن ولاية « جده والحبش » التي عهد بها الى ابراهيم باشا عند قيامه باخضاع ثورة الوهابيين<sup>(١)</sup> •

ولكن فكرة عربستان أو الوحدة العربية المبكرة التي حاول محمد علي تحقيقها اذ ذاك تعرضت للاجهاض خاصة من قبل انجلترا التي أبت التسليم ببقاء طريقها التجاريان الى الهند ، وهما ١- طريق البحر الاحمر - المحيط الهندي ٢ - طريق وادي الفرات ••• الخليج العربي، يمران خلال

---

(١) شفيق غربال : محمد علي الكبير ص-٦٢-٦٤ ، ١٢٠-١٢٢ ، ١٤٧-١٤٨ •

غالي شكري : عروبة مصر وامتحان التاريخ ص ١٣٦-١٥٠ •

مناطق نفوذ محمد علي وتحت رحمته •

ومن هنا بدأت بريطانيا حربها الاقتصادية والعسكرية ضد مصر ونجحت في ابعاد المصريين عن الخليج العربي كما اشترت في عام ١٨٣٩ جزيرة بريم ثم احتلت صحرة عدن واتخذت منها قاعدة استراتيجية تساعدها على السيطرة على البحر الاحمر • وازاء ذلك قبلت مصر العودة الى حدودها الطبيعية في شمال شرق افريقية ووادي النيل وحاولت ان تقنع بالحفاظ على كيانها او استقلالها الداخلي تجنباً لاي صدام مع القوى الاستعمارية الكبرى واطمائها<sup>(٢)</sup> •

### سياسة مصر الافريقية في عهد الخديوي اسماعيل :

لم يمض على ما سبق اكثر من ٢٠ عاماً حتى حاولت مصر خلال عهد الخديوي اسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩) تحقيق بعض جوانب السياسة التوسعية التي اتبعت في عهد محمد علي وخاصة ما يتعلق منها ببعض مناطق افريقية في محاولة لسبق الاستعمار الاوربي والوصول الى بعض منتجات افريقية التي استأثر بها تجار الرقيق فضلاً عن اعادة الاستقرار لانحائها بتحقيق الجانب الانساني المتعلق بمقاومة الاتجار في الرقيق<sup>(٣)</sup> •

وقد استطاعت مصر في عهده الامتداد من السودان جنوباً عن طريق سلسلة من البعثات الكشفية المعززة بقوى عسكرية وعن طريق بعض المساعي الدبلوماسية والسياسية الى اقليم بحر الغزال ودارفور ومنطقة البحيرات الاستوائية •

لم يغب عن فكر اسماعيل مطامع اوربا في هذه البلاد البكر ولم يغفل عن مدى ما لديها من قوة • ولذا رأى تجنباً منه للتعرض لمثل التجربة

(٢) د • جلال يحيى : مصر الافريقية : ص ٥٢-٥٥ •

(٣) المرجع السابق : ص ٦١ •

د • جميل عبيد : المديرية الاستوائية : ص ٣٥٣ أمر كريم في ٣-١٢ - ١٨٦٩ - وثائق عابدين صادر مكاتبات - دفتر رقم ١٩٣٤ ص ٥ •

الاليمة التي تعرض لها جده محمد علي، عندما اتحدت دول اوربا على تحطيم أحلامه وأهدافه ، ان يختار ايسر السبل للوصول الى التوسع وذلك بأن يحل محل الدولة العثمانية الآخذة في التدهور في ادارة أملاكها حينما امكن ذلك عن طريق التفاهم معها .

وكان من بين ذلك ان الخديوي اسماعيل حصل في عام ١٨٦٥ على قرار او فرمان من قبل السلطان بأحالة قائممقامية سواكن ومصوع الى عهده ثم جعلهما فرمان ٢٧ أيار ١٨٦٦ من ملحقات مصر . وأصبحتا تمتدان على البحر الاحمر من رأس علبة الى حلة رهيفة عند مضيق باب المندب<sup>(٤)</sup> .

وكان من بين ذلك ايضا التنازل له عن زيلع وملحقاتها في أول تموز ١٨٧٥ مقابل رفع الضرائب السنوية التي تدفعها مصر للدولة العثمانية بمقدار خمسة عشر ألف ليرة عثمانية . ولما كانت ثغور بربرة وبولهار وتاجوره تدخل ضمن ملحقات زيلع فقد اصبحت بالتالي تابعة للإدارة المصرية<sup>(٥)</sup> .

وهكذا امتد الحكم المصري من سواحل البحر الاحمر الى سواحل خليج عدن الشمالية أي من سواكن الى مصوع فزولا فعصب فكاجوره فزيلع فبلهار فبربرة الى رأس جردفوى على المحيط الهندي<sup>(٦)</sup> .

---

(٤) عبدالرحمن الرافي : عصر اسماعيل ج١ ص ٧٣-٧٦ ، ١٠٦ ،  
الوقائع المصرية : العدد ٣٥١ .

د . جلال يحيى : مصر الافريقية ص ١٣٦ .

(٥) عبدالرحمن الرافي : المرجع السابق : ص ١٣٢ .

الوقائع المصرية : عدد ٦١٥ بتاريخ ١٥-٧-١٨٧٥ .

(٦) بقيت محافظتا زيلع وبربرة تابعتين لمصر الى ان اغتصبهما الانجليز بعد شبوب الثورة المهدية اذ ارغموا حكومة مصر على الجلاء عن السودان وشمل القرار هاتين المحافظتين فأخلفتها الحامية المصرية في مايو ١٨٨٥ واحتلها الانجليز منذ ذلك الحين .



أن السياسة السالفة الذكر التي اتبعتها مصر في أوائل عهد الخديوي اسماعيل والتي غلب عليها طابع الحذر جنبها التعرض لأي خسائر أو كوارث واضحة خلال تقدمها السلمي في افريقية وان تحملت اعباء مادية ومالية لا تنكر ، كما حققت وحدة شبه متكاملة امتدت خلال المنطقة من البحر الابيض شمالا الى منابع النيل في منطقة البحيرات الاستوائية جنوبا ، ومن سواحل البحر الاحمر في الشمال الشرقي ابتداء من قناة السويس التي افتتحت للملاحة الدولية الى خليج عدن وساحل افريقية الشرقي حتى رأس جاردفوي ورأس حفون جنوبا مما يؤمن الملاحة تماما من مدخل البحر الاحمر في خليج عدن وباب المندب جنوبا الى منفذها الشمالي الجديد في قناة السويس ويضعها كلية تحت اشراف مصر .

الا ان احد الاتجاهات التي امتد اليها التوسع المصري ونعني به الاتجاه الجنوبي مع مجرى النيل حتى منابعه الاستوائية الممتدة في بحيرات فكتوريا والبرت والبرت ادوارد تحقيقا للدوافع الانسانية التي اعلنت عنها مصر وهي «...الاتصال الذي يتفق مع القواعد الاساسية القديمة المتخذة لدى الحكومة المصرية والذي يترتب عليه تأسيس اسباب التمدن والعمارة ، وتوسيع دائرة الزراعة والتجارة ...» ودفع الاحوال الوحشية ... وتمهيد الطريق وتأمينها والتأليف بين الاهالي ...»<sup>(٧)</sup> ان هذا الاتجاه او الامتداد واجهته بعض صعاب بسبب ما تخلل نهر النيل وبخاصة في حوض بحر الجبل من سدود وجنادل .

---

(٧) وثائق عابدين عربي دفتر ٥٧٣ صادر المعية السنية ص ٢١٧ تحت رقم ٥٦ من الجنب العالي الى ناظر الداخلية ١٦-٥-١٨٦٩ (أ) ، وثائق عابدين عربي-دفتر ١٩٣٤ اوامر كريمة - الامر رقم ٣١ ص ٥ الى سائر الحكام ونظار الاقسام ومشايخ وعمد الاهالي بأقاليم السودان في ٣٠-١٢-١٨٦٩ ، (ب) .

(أ) جميل عبيد: المديرية الاستوائية-وثيقة رقم ٤ ص ٣٤٧-٣٤٩ .  
(ب) المرجع السابق: وثيقة رقم ١١ ص ٣٥٢ .

وقد كان شارل جورج غوردون الذي انيط به تولي ادارة هذه المنطقة التي عرفت باسم المديرية الاستوائية ابتداء من نيسان ١٨٧٤ الى عام ١٨٧٦ هو الرجل الذي اتخذ من هذه العقبة تكأة استند اليها في البحث عن منفذ آخر للمنطقة الاستوائية والسعي الى فتح طريق يؤدي الى سواحل افريقية الشرقية ، وبالذات الى سواحل الصومال المطل على المحيط الهندي<sup>(٨)</sup>.

وغوردون (١٨٣٣-١٨٨٥) ينتسب لاسرة بريطانية عسكرية اشترك في حرب القرم عام ١٨٥٥ وبقي اربعة اعوام في الصين، حتى عام ١٨٦٤ ثم اشترك في مهام أخرى على مدى السنوات التالية وفي شباط ١٨٧٤ توجه للقاهرة وله من العمر ٤١ عاما ليتولى، بناء على اتفاق سابق، عمله كمدير للمديرية او المحافظة الجديدة التي انشئت حديثا باسم المديرية الاستوائية. وفي عام ١٨٧٦ نقل حاكما عاما للسودان وبقي به الى ان اغتيل على يد المهديين عند دخولهم الخرطوم عام ١٨٨٥<sup>(٩)</sup>.

#### **غوردون وموقفه ازاء مصالح مصر وبريطانيا :**

عمد غوردون الى اثارة موضوع فتح منفذ للمديرية الاستوائية على الساحل الشرقي لافريقية في رسالة بعث بها الى الخديوي اسماعيل من لادو عاصمة المديرية الاستوائية بتاريخ ٢١-١-١٨٧٥ - أشار فيه الى أهمية التفكير فيما يمكن ان يؤدي اليه تناقص الاخشاب الجافة اللازمة كوقود لسير المراكب البخارية من تعطيل الانتقال بين المديرية الاستوائية والخرطوم عن طريق النيل • واقترح ايجاد بديل لطريق النيل للبقاء على الاتصال الدائم بين مصر والعالم من جهة وبين المديرية الاستوائية ومنابع النيل من

---

(٨) المرجع السابق : ص ٨٦ •

(٩) المرجع السابق : ص ١١٢ •

Allen B.: Gordon and the Sudan pp. 2-10.

جهة أخرى وذلك بفتح منفذ آخر للمديرية الاستوائية على البحر أي على الساحل الشرقي لأفريقية • وأشار أيضا في هذه الرسالة الى ان سيطرة مصر على خليج ممباسا هو السبيل الوحيد لفتح الجهات الوسطى من افريقية للعالم كما ذكر ايضا ان احتلال مصر لهذا الخليج يضع المناطق الغنية من وسط افريقية تحت سيطرتها • وبلغ من تفاؤل غوردون - أو رغبته في الزج بمصر في هذا المشروع - انه لوح باحتمال الحصول على مساعدة من قبل القوة البريطانية الموجودة بزنجبار<sup>(١٠)</sup>.

وفي ٢٥ كانون ثان ١٨٧٥ ارسل شالي لونغ - احد العاملين بالمديرية الاستوائية وهو امريكي من اصل فرنسي - من المديرية الاستوائية خطابا الى الجنرال ستون القائد العام للجيش المصري بالقاهرة - وهو امريكي الاصل- ايد فيه فكرة غوردون استنادا الى سهولة الانتقال بين السويس وممباسا ثم قصر المسافة بين ممباسا وعاصمة أمشيسا ، وذكر لونك ان المسافة بالبحر بين السويس وممباسا ٣٢٠٠ ميل وبين ممباسا وعاصمة الملك أمشيسا ٣٠٠ ميل في حين ان المسافة عن طريق النيل بين القاهرة وغندكرو ٢٧٠٠ ميل وبين غندكرو وعاصمة أمشيسا ٥٨٠ ميلا<sup>(١١)</sup> •

وبلغ من اهتمام غوردون بمشروع فتح منفذ على الساحل الافريقي

(١٠) جاء بالنص في رسالة غوردون المرسلة باللغة الفرنسية ما يلي

On peut attendre d'assistance materielle de l'escadron Anglaise qui est à Zanzibar.

وثائق عابدين افرنجي

Dass. 71/4 Letters from Gordon to Khairy Pasha, Lado, 21, janvier 1875.

G. B. Hill: Colonel Gordon in Central Africa 1874-79. P. 65.

Crabites: The Maligne Phedive P. 11.

(١١) وثائق عابدين افرنجي

Dass 72/1 - Chaille-long to General Ltone 25-1-1875.

الشرقي ان ذكر في خطاب ارسله من وسط افريقية لنوبار باشا رئيس وزراء مصر بتاريخ ٢٩-١-١٨٧٥ اعترامه ترك تجارة الرقيق والمشكلات المتعلقة بمقاومتها لرؤف بك على ان يتوجه هو الى ممباسا شخصياً لفتح هذا المنفذ وأكد للمرة الثانية عدم وجود عقبات أو اعراضات كما كرر ما يتوقعه من الحصول على مساعدة من قبل العمارة البريطانية بنزبار<sup>(١٢)</sup>.

وبناء على خطابي غوردون وشارلي لونك للمسؤولين بمصر ارسلت المعية السنية برقيتين بتاريخ ٩ محرم ١٢٩٢ هـ الموافق ١٥-٢-١٨٧٥ احدهما لغوردون والثانية للونك<sup>(١٣)</sup> وقد جاء في تلك الرسالة لغوردون ان لونك كلف بالحصل منه على جميع البيانات اللازمة لانجاح هذا المشروع «مشروع فتح طريق من ممباسا الى حيث تعسكر الفرق المصرية بجوار نك الملك اميسا»<sup>(١٤)</sup> وانه كلف بمناقشة هذا الموضوع معه للتعرف على «حقيقة نواياه» على ان يحضر معه للقاهرة (١) جميع الخرائط والتقارير

(١٢) جاء في رسالته بالنص.

“Si son Altesse me permettra d'aller vers Mombaz, je suis sur qu'il ne sera pas de s objections, mais que j'aunais l'aide de notre escadne à Zanzibar une fois etabli à Mombaz l'exploration deviendra une accupation...”

وثائق عابدين افرنجي

Dass, 71/4 — Gordon to Nubar Pasha — Enrouit au Sobat 29 janvier 1875 & Bohr 31-1-1875.

(١٣) وثائق عابدين افرنجي - برقيات صادرة من المعية السنية

Abdin Mai Register No. 21-641, 9 Moharem 1292 & Abdin Mai Register No. 21-640, 9 Moharem 1292.

(١٤) مضمون هذه البرقية يكشف عن علم مصر بوصول الفرق

المصرية الى عاصمة اميسا ملك اوغندا \*



المتعلقة بهذا الطريق وباختراقه سواء ابتداء من الساحل أو ابتداء من البحيرة (٢) وجميع المعلومات المتعلقة بالاقليم الذي سيخترقه الطريق المذكور مما يسهل عملية اختراقه (٣) مع تبيان الفوائد التي تعود بتحقيق هذا المشروع •

وفي آذار ١٨٧٥ تمت هذه المقابلة بين لونك وغوردون وبعدها مباشرة سافر شارلي لونك الى مصر مصطحبا معه البيانات المطلوبة •

كان المتوقع من غوردون بعد الاقتراح الذي تقدم به بشأن فتح منفذ للمديرية الاستوائية على ساحل افريقية الشرقي ان يوجه التقدم المصري الذي كان يسير حثيثا في وسط افريقية ، نحو بحيرة فكتوريا وتثبيت الحكم المصري بها ، لانها تمثل اول الطريق المؤدي الى الساحل الشرقي لافريقية •

ولكن غوردون شغل نفسه فيما بين شهري -آذار- وتموز عام ١٨٧٥ وما بعد ذلك التاريخ بالتقدم جنوبا بغرب نحو بحيرة البرت حيث واجهته صعاب عديدة وبلغ من شدة الصعاب التي واجهته انه طلب قبول استقالته من العمل في خدمة الحكومة المصرية وذلك في برقيات وخطابات بتاريخ ١٣- نيسان ؛ ٧- أيار ١٨٧٥ لخيري باشا حامل اختام الخديوي وللعمية السنية • وكان مما جاء بها انه يفضل تثبيت حدود مصر عند خط عرض ٣° جنوب خط الاستواء حيث انه عرف خلال قراءته للمصحف ان الانجليز أخذوا ممباسا لتسليمها لسلطان زنبار ولذا يرى استبعاد هذه البلدة من حسابات مصر واستبدالها بخليج فورموزا فهو افضل من ممباسا ويستطيع تغطية حاجات مصر • وطلب اخذ رأي بعض المتصلين بتلك المواقع عن نهاية حدود سلطان زنبار لان حدود مصر تنتهي حيث تبدأ حدود زنبار •

كما اشار الى ضرورة التقدم نحو بحيرة فكتوريا<sup>(١٥)</sup> لتثيت نفوذ الحكومة هناك وبمجرد تحقيق هذه الخطوة سيستطيع التعرف على الطريق من البحيرة الى المحيط<sup>(١٦)</sup>.

وبرغم ان غوردون ارسل الى مصر في ١٤ أيار ١٨٧٥ طالبا تأجيل مشروع جوبا الا انه لم يتخل عن مشروعه رغم الصعاب ورغم طلب الاستقالة بدليل انه اشار ثانية في ذات البرقية الى انه من الكافي جدا لمصر استخدام خليج فورموزا<sup>(١٧)</sup>. على ساحل افريقية الشرقي.

(١٥) يحق لنا ان نتساءل كيف يمكن لغوردون ان يصل الى بحيرة فكتوريا شرقا وقد جل جهده غربا نحو بحيرة البرت اي الى الوجهة شبه المضادة . ففكتوريا تقع بالنسبة له الى الجنوب الشرقي والبرت الى الجنوب الغربي هذا اذا لم نتعرض اصلا للتكأة التي استند اليها غوردون للتأجيل وهي وصول الفرق المصرية الى فكتوريا أي الى اوغندا والتي يجب ألا نغفل الرد عليها بأن ملك اوغندا اعترف فعلا منذ عام سابق بالنفوذ المصري في بلاده.

Abdin Maia Register No. 31. Telegraph No. /229 p. 39  
Gordon to Khairy Pasha— Rejab 13, April 1875.

اكواتوريا ص ٤٢٤

(١٦) وثائق عابدين افرنجي

Dass. 71/4 — Gordon to Khairy Pasha — Beden,  
7 May 1875.

ويلاحظ ان جميع مكاتبات غوردون وبرقيات التي تعرض فيها للمشروع حتى ٧-٥-١٨٧٥ لم تصل للخديوي الا في ٢٣-٧-١٨٧٥ أو قبله بقليل - انظر

Equatoria p. 80.

(١٧) وثائق عابدين افرنجي برقية بالشغرة

Dass 72/1.

Gordon to Mait 14 Mai 1875.

استمر غوردون في تأييده للمشروع بدليل انه ارسل في ٢٦ حزيران ١٨٧٥ اقتراحا في خطاب منه للخديوي مرسل من لادو عاصمة المديرية الاستوائية مضمونه تعديل الخطة التي اقترحها لتنفيذ مشروعه وذلك باتخاذ نهر تانا كطريق للاتصال بين الساحل ووسط افريقية • وجاء في تلك الرسالة انه اكتشف خلال قراءته لاحد الكتب ان هناك نهرا اسمه تانا ينبع من جبل كينيا ويصب شمال خليج فورموزا • وارفق غوردون بهذا الخطاب رسما تخطيطيا قدر فيه طول المسافة بين الساحل الافريقي وبحيرة فكتوريا عن طريق نهر جوبا بنحو ٣٨٠ ميلا بينما هي لا تتجاوز عن طريق نهر تانا ٢٠٠ ميل واقترح وضع محطة عسكرية في الناحية القريبة من جبل كينيا •

وابدى غوردون رأيه في هذه الرسالة بأن التقدم نحو الساحل الشرقي لا تشوبه صعوبات اذا استثنينا المائة ميل الاخيرة حيث يمتلك بعض الاهالي اسلحة نارية وحيث لا ينظرون للتقدم المصري بسبب تحريض رجال زنبار نظرة ودية • وأشار الى أنه لو امكن للخديوي التغلب على المشكلة السياسية فلن يكون هناك مبرر للتأخر في قيام بعثة لاستكشاف هذا الساحل وانشاء مرسى بحري او ميناء به • ورأى ايضا ان في الاستعانة بمائة رجل فقط ما يكفي لتأمين ميناء من نوعية سواكن أو بربرة بعد انشاءه على ان يظل هؤلاء الرجال ساكنين الى ان يشق هو طريقا من الداخل للاتصال بهم • ونصح بالأا تحاول البعثة المصرية التي ستصل الى ساحل افريقية اختراق المنطقة المؤدية للداخل حتى لا تثير الشكوك وخاصة شكوك وكلاء الصحف الموجودون بزنجبار او تثير ضجة من قبلهم خاصة اذا حدث احتكاك مع سكان المناطق الداخلية ••• واقترح في نهاية رسالته اخذ رأي باشا بربره بشأن السواحل الساحلية لافريقية في ذلك القطاع

وما لديه من معلومات عنها<sup>(١٨)</sup>.

وفي ٢٧ / حزيران ١٨٧٥ افاد غوردون الخديوي بأن تقدم مصر نحو بحيرة فكتوريا يوجد لها الحق في الحصول على منفذ على الساحل ترسل منه المؤن والذخائر الى القوات المراقبة على خط الاستواء ويطل ما قد يظهر من معارضة دولية لهذا الاتجاه ثم ذكر ايضا انه يفضل عدم احتلال قاعدة على الساحل الشرقي لافريقية قبل وصول مصر الى منطقة البحيرات وعلم الدول بهذا \* وكان من بين اقتراحات غوردون في هذه الرسالة ايضا ترك قيادة الحملة البحرية المزمع ارسالها الى ساحل افريقية الشرقي لرجل مسلم استنادا الى انتشار الاسلام بين معظم المواطنين المقيمين على الساحل الافريقي<sup>(١٩)</sup>.

واتار غوردون في خطاب منه للخديوي بتاريخ ١٧ / تموز سنة ١٨٧٥ ارسله من بلدة بدن بالمديرية الاستوائية تخوفه من السكان العرب المقيمين على الشاطئ الافريقي فيما اذا كانوا من الوهابيين أو من سلالتهم ممن اجأ الى تلك المنطقة عقب استيلاء مصر على بلاد العرب وطلب تقصي هذا الموضوع كما طلب اخفاء كل ما يتعلق بهذا المشروع عن جون كرك قنصل انجلترا في زنبار<sup>(٢٠)</sup> حتى لا يذيعه هذا على العالم مما قد يثير

---

(١٨) وثائق عابدين افرنجي

Dass 71/4.

Gordon to Khairy, Lado, 26 juin 1875.

(١٩) وثائق عابدين افرنجي

Dass 71/4. Gordon to Khairy, Lado 27 juin 1875.

(٢٠) عمل جون كرك في زنبار من ١٨٦٦-١٨٨٧ وكان له دور حساس في توجيه سياستها، وسميطر تجار الهند البريطانية على تجارة الساحل من خليج ديلجادو الى ممباسا \*

M. F. Shukry: Equatoria p. 398.

المتاعب لمصر (٢١) •

وقد ارسل غوردون ايضا رسالة في التاريخ السابق اى ١٧/تموز ١٨٧٥ الى المستكشف البريطاني ريتشارد برتون Richard Burton يستفسر فيه عن معالم حدود زنجبار الشمالية وعن تبقية المناطق الواقعة شمال خط الاستواء اذا لم تكن مما يتبع زنجبار واملاكها وسأل ايضا - ولعل هذا هو اهم ما في هذا الخطاب - فيما اذا كانت لبلاده اى لبريطانيا مصالح تتعارض مع محاولة مصر ايجاد منفذ للمديرية الاستوائية على ساحل افريقية الشرقي كما تسأل ايضا عن اصل العرب المقيمين في تلك المنطقة وهل ترجع اصولهم الى الوهابيين القادمين من الجزيرة العربية • ونسب غوردون في ذات الخطاب ، خلال تأكيده على الحاجة الشديدة الى منفذ بحري للمديرية فكرة اقتراح مشروع جوبا الى نفسه و اشار الى ضعف احتمالات تقدم وتمدن سكان وسط افريقية ما لم تفتح هذه المنطقة وتخترق من جهة الساحل (٢٢) •

وعبر المؤلف ولكنز Wilkins بعد سرده للوقائع السالفة الذكر في كتابه عن اعتقاده بأن غوردون حصل فعلا من ذلك المستكشف على بيانات كاملة وتوجيهات هامة ردا على استفساراته (٢٣) •

---

(٢١) وثائق عابدين افرنجي

Dass 71/4 — Gordon to Khairy Pasha — Beden 17  
juillet 1875.

(٢٢)

Wilkins; The Romance of Isabel Lady Burton p. 649.  
Ibid: p. 650.

(٢٣)

ولعله مما يحق لنا ان نتساءل عن مصير رد برتون ولماذا لم يسجله غوردون في أي من كتاباته ... فهل جاء في ذلك الرد من الاشارات ما كان كفيلا بتحول غوردون نهائيا عن المشروع الذي اقترحه وعن القيام بالدور الخاص به منه والذي تعهد بالقيام به .

وعلى كل فان السأم الذي اتاب غوردون عقب الصعاب التي واجهته، وانقطاع خطابات الخديوي عنه - هذا الانقطاع الذي جاء نتيجة لعدم وصول خطابات غوردون عن المشروع ليد الخديوي الا في حدود يوم ٢٣ تموز/ ١٨٧٥ او قبله بقليل كما ذكرنا سابقا - مع احتمال وصول رد برتون الذي لم نصل الى معرفة ما جاء به ... كل ما سبق او بعضه ادى الى ارسال غوردون رسالة لخيري باشا حامل اختام الخديوي من لا بوري في ٢٣/ ايلول ١٨٧٥ غلبت عليها روح التشاؤم والعداء للعرب ... ربما ذلك في محاولة منه لتبرير تخليه عن القيام بدوره في مشروع جوبا . اذ ذكر انه اصبح مقتنعا بأن خصائص السودانيين وبعض العرب ممن يقيمون في تلك البقاع لا تعطي املا في تقبلهم لمظاهر المدنية والحضارة . وان كل ما يمكن ان يطمع فيه او يرجى من سكان تلك المنطقة لا يتجاوز القدرة على استمرار ارسال العلاج بما يكفي لتغطية نفقات الفرق العسكرية . وذكر ان جميع العاملين في هذا الاقليم باستثناء واحد أو اثنين يتصفون بالكسل وليست لديهم رغبة في الاستعانة بشيء من الفكر او التصرف وكل ما يحلمون به او يطمعون فيه هو الاخلاص الى الراحة والسكينة بلا حراك ولا عمل وأشار كما حدث في اليوم السابق - تأكيداً لرأيه هذا - عندما ادى تكاسلهم وتهاونهم خلال تفريغ حمولة المركب الى ضياع المركب والمدفع الرشاش وختم غوردون تلك الرسالة برجاء اعفائه من وظيفته متمنيا لخلفه حظا افضل (٢٤) .

(٢٤) وثائق عابدين افرنجي

Dass 71/4 — Gordon to Khairy Pasha—Labore 23—  
9—1875.

وبينما ينتظر غوردون موافقة الخديوي على استقالته بعد ان اعد امتهته  
لتنقل الى مصر اذا به يتسلم خطابا مرسلا في ٢٧-٩-١٨٧٥<sup>(٢٥)</sup> من  
خديوي مصر مضمونه الموافقة على مشروع بعثة جوبا وما كان من ارسال  
٣ مراكب بخارية ، ٦٠٠ جندي تنفيذا له • وقد طلب الخديوي في خطابه  
هذا من غوردون ان يسارع بالتقدم صوب الساحل للالتقاء بهذه البعثة -  
كما ارفق بكتابه صورة من تعليماته الصادرة لماكيلوب الذي كلف بقيادة  
الحملة تحمل تاريخ ١٧-٩-١٨٧٥<sup>(٢٦)</sup> •

وكتب غوردون لشقيقته عقب ذلك بأن الخديوي لم ينفذ هذا المشروع  
الا ارضاء له ورغبة منه في الاحتفاظ به • ومن ثم فانه قرر البقاء بالمديرية  
الاستوائية وعدم التخلي عنه<sup>(٢٧)</sup> وهذا يقطع نهائيا بأن التحفظات التي ذكرها  
غوردون لم تكن الا ذرا للرماد في العيون وان غوردون قصد الزج بمصر  
في هذا المشروع •

ولكن مذكرات غوردون فيما بين يومي ١٨ ، ٢٠ كانون ثان ١٨٧٦

---

(٢٥) وصلت هذه التعليمات لغوردون في المديرية الاستوائية فيما بين  
١٦-٢٠-١١-١٨٧٥ •

M. F. Shukry: Equatoria pp. 89-91.

(٢٦) وثائق عابدين افرنجي بالقاهرة

Dass 71/4 — Maia to Gordon 27—9—1895 & Dass  
73/2 — The Instructions of the Khedive to McKillop  
Pasha — Guezireh, 17 Sept. 1875

R.L. Hill: Egypt in the Sudan p. 146. (٢٧)

M.F. Shukry: Equatoria p. 64.

عن هذا المشروع كانت بمثابة صدمة قاسية لآمال مصر وأهدافها إذ أشار فيها علنا إلى تخليه نهائيا عن فكرة التقدم نحو ساحل البحر أي نحو الساحل الشرقي •

ان شالي لوثك ينسب هذا التصرف من غوردون الى احتمال وصول تعليمات له من الحكومة الانجليزية بعدم التعاون مع هذه الحملة • هذا برغم ان غوردون هو اول من اقترح المشروع واول من صرح بأن احسن طريق للوصول الى منطقة البحيرات الاستوائية هو من شرق افريقية عند ممباسا •

واعترف غوردون في رسائله بأنه على الرغم من تكليف الخديوي لماكيلوب باشا وشالي لوثك بك انتظاره على فهم الجوبا فان انتظارهما سيكون على غير جدوى» (٢٨) •

---

(٢٨) د • شوقي عطا الله الجميل: سياسة مصر في البحر الاحمر ص ٢٦٣ •

G.B. Hill: Colonel Gordon in Central Africa p. 146.

Chaillé Long: L'Egypte et ses provinces perdues (Paris 1892) p. 124.

Chaillé Long: (Les Trais Prophetes. (Paris 1886) p. 63.

W.L. Langer: The Diplomacy of Imperialisms 1890—1902 (N.Y. 1950) p. 112.

M. Sabry: L'Empire Egyptien sous Ismail (Paris 1933) pp. 488-489.

عبدالرحمن الرافعي: عصر اسماعيل ج١ ص ١٣٩ •



### حقيقة موقف مصر من المشروع :

اما حقيقة موقف مصر من هذا المشروع فيمكن اجماله في ان القائمين بأمرها وعلى رأسهم الخديوي اسماعيل لم يفكروا قبل عام ١٨٧٥ في اهمية التوسع نحو أي منطقة مطلية على ساحل افريقية تلي رأس حفون Ras Hafoun وذلك رغم توفر ما لديهم من اتجاه للتوسع نحو المناطق المطلية على البحر الاحمر وخليج عدن فقط . وبناء عليه يتضح ما كان لمشروع غوردون عن فتح منفذ بحري للمديرية الاستوائية من توجيه نظر مصر نحو هذه المنطقة الجديدة بالنسبة لسياستها<sup>(٢٩)</sup> .

وعندما علم الخديوي بهذا المشروع وفكرته استدعى شالي لونك لمقابلته ( انظر ص ١٨٥ من هذه المجلة ) ووصل هذا الى مصر فعلا في ٢٢-٣-١٨٧٥ ولكن الخديوي كان في عجلة من امره لاعتزاه مغادرة البلاد للخارج وذلك لانهاء بعض الاعمال التي كان من بينها ، وقد افتتحت مصر قناة السويس ، وبدأت تهتم جديا بالسيطرة الكاملة على سواحل البحر الاحمر وعلى ساحل افريقية الشرقي المواجه لاوغندا ، الحصول من الباب العالي على حق ادارة بعض البلاد المطلية على الطريق المؤدي لقناة السويس ومنها تلك الواقعة على الساحل الافريقي الشرقي مواجهها لبحيرة فكتوريا .

أما مكاتبات غوردون التي جاء بها الكثير عن المشروع وخطواته فلم تصل للخديوي الا قبل ٢٣/تموز ١٨٧٥ بقليل وذلك عقب عودته من الخارج . وعندما استقر رأي الخديوي ورجاله على تنفيذ مشروع المنفذ الساحلي للمديرية سارع بابلاغ هذا القرار لغوردون في خطابه الصادر من

---

(٢٩) د . محمد فؤاد شكري: مصر والسيادة على السودان - الوضع التاريخي للمسألة وملحق ٤ الوثيقة .

مصر بتاريخ ٢٧-٩-١٨٧٥ (٣٠).

وقد جاء في هذا الكتاب انه تتبع منذ نحو عام مشروع فتح منفذ للمديرية الاستوائية على الساحل الشرقي ثم الصعوبات التي قد تواجه هذا المشروع وأشار الى انه لا يستطيع اغفال هذا المشروع لانه يتفق مع رغبته في توفير الامن والقضاء على تجارة الرقيق مع فتح هذه المناطق للتجارة. وذكر أيضا انه مع ظنه بأن طريق النيل هو أقصر الطرق وأيسرها للوصول الى وسط افريقية الا انه ينزل عند رأي الموجودين في الميدان من امثال غوردون لانهم أكثر احساسا بمشاكل المنطقة ووسائل علاجها وأكثر تقديرا لاحتياجاته.

وأشار الخديوي الى توقعاته واولها تحقيق غوردون للشطر الاول من هذا المشروع بالوصول الى بحيرة فكتوريا والنجاح في تسيير المركب البخاري فوق أديمها قبل ان يصل الى يده هذا الخطاب (٣١).

ويشير الخديوي الى أنه فهم من مكاتبات غوردون الاولى انه يقترح اختيار خليج فورموزا كمكان ترسو فيه البعثة المصرية على الساحل الشرقي الافريقية. ولكن الخطابات الاخيرة تنصح باتخاذ درنفورد Durnford ار مصب نهر جوبا كمكان ترسو فيه سفن البعثة وانه فهم ان غوردون يفضل الاماكن الاخيرة بسبب جهله بنهاية حدود أملاك سلطان زنبار وفيما اذا كان له اي ادعاءات بشأن تبعية المكان الاول (خليج فورموزا) له.

---

(٣٠) وثائق عابدين افرنجي

Dass/ 71/4 — The Khedive to Gordon — Caire,  
Guzireh 27 Sep. 1875.

(٣١) ارسل هذا الخطاب في ٢٧-٩-١٨٧٥ ووصل الى يد غوردون في المديرية الاستوائية في ٢٠-١١-١٨٧٥ كما اشرنا لذلك سابقا.



وأما عن مخاوف غوردون بشأن قيام صعوبات دبلوماسية فإنه يشاركه الرأي في حقيقة مصدرها حيثما تظهر ؛ وفي أنها لا تتبع عن الحكومات بقدر ما تتبع عن تحريض بعض العملاء والوكلاء الذين يدفعونها شيئا فشيئا الى مساندتهم دون اقتناع منها بوجهة نظرهم الضيقة .

وارجع الخديوي تردده في اعطاء امر القيام للبعثة المصرية الى ساحل افريقية الشرقي الى اصرار غوردون في رسائله الاولى على ان الطريق الوحيد الصالح من الداخل للساحل انما هو طريق فورموزا ثم تحول به بعد ذلك الى تفضيل طريق درنفورد أو مصب نهر جوبا على خط الاستواء تجنباً للتصادم مع اي ادعاءات لسلطان زنبار على خليج فورموزا (٣٣) .

وذكر الخديوي أيضا انه يؤيد رأي غوردون عن أهمية فتح طريق من البحيرات يؤدي الى مصب نهر جوبا بالذات لانه بذلك يتجنب اي اضرار يمكن ان تلحق بجاره سلطان زنبار أيا كانت حقوقه الفعلية حيث يهتمه الابقاء على علاقات الود معه . واكد ان مصب جوبا تابع لمصر لانه يمثل النقطة التي تفصل بين حدود زنبار وحدود الصومال . وان جميع الخرائط الاصلية على السواء تؤكد ذلك ، كما ان مصر تحتل المناطق الشمالية من انصومال ولها بالتالي حقوقا على سواحلها الشرقية مثل ما لها من حقوق على

(٣٢) وثائق عابدين افرنجي

Dass 71/4 — Gordon ti Khairy Pasha — Lado 26  
juin 1875.

M. Fouad Shukry : Equatoria p. 273-275.

ملحوظة : هذه الخريطة من تخطيط غوردون

(٣٣) وثائق عابدين افرنجي

Dass 71/4 — The Khedive to Gordon — Caire Gue-  
zireh 27, sep. 1875.

سواحلها الشمالية (٣٤) .

ومعنى هذا ان الاراضي الواقعة شمال نهر الجوبا اراض صومالية وبالتالي تتبع مصر . ومن ثم فانه بفتح الطريق من البحيرات الى الساحل «نكون دائما داخل مجانا وداخل حدودنا» ومع ان هذا الطريق اطول بمقدار ١٠٠ ميل عن الطريق الآخر وهو طريق فورموزا الا انه يفضل له لانه خال من الادعاءات والقيود ولا تحوطه الشكوك . وان الدول الاوروبية ستقبل هذا الوضع لاسباب تجارية ولان القضاء على تجارة الرقيق لن يتأتى الا على يد حكومة منظمة تدير شؤون ذلك الاقليم .

وفي هذا ذكر أن الحكومة البريطانية هي أول من يعلم باستحالة القضاء على تجارة الرقيق في وسط افريقية ، برغم مرابطة احدى سفنها الحربية على الساحل الشرقي لافريقية دون توجيه ضربة قاضية لها في مصادرها الاصلية وان ذلك لا يتحقق دون الاستعانة بحكومة تمتلك نفوذا وسلطانا على الاماكن الداخلية وفي منطقة البحيرات بالذات حيث تتفشى،

---

(٣٤) وثائق عابدين افرنجي

Dass 71/4.

The Khedive to Gordon — Caire — Guezireh 27 September 1875.

F.O. 78/3186 [Claims to Sovereignty in Red Sea 1852—1872. Doc. No. 60, Alexandria 3—6—1870. Starton to Clarendon. Encollosure. Copy of Despatch from Cherif Pasha enclosing correspondence respecting the rights of the Ottoman Porte over the territory occupied by the Somalis to the South of the straits of Bab-el-Mandeb.

الأمر الذي لا تتوفر امكاناته الا لدى مصر (٣٥) .

وقد ارفق الخديوي في نهاية خطابه لغوردون المرسل بتاريخ ٢٧-٩-١٨٧٥ بعض تعليمات اهمها التقدم فورا على رأس قوة مصرية نحو مصب نهر جوبا حيث سيجد ماكيلوب باشا (٣٦) على رأس قوة بحرية برية في انتظاره ومعه تعليمات يضع بمقتضاها نفسه تحت امرة غوردون الذي سيتولى القيادة العامة العسكرية والمدنية لتلك المناطق على ان يقيم كوكيل عنه بالمديرية يوسف بك مدير البحر الابيض او سواء كيفما يشاء (٣٧) .

ولا نود التعرض هنا لاعداد هذه الحملة ويكفي ان نعرف ان شالي اونك حمل تعليمات الخديوي مع بعض الفرق والامدادات المصرية من السويس على ظهر الباخرتين دسوق وطنطا في ١٩-٩-١٨٧٥ . كما حملت الحملة معها الف بندقية ، ٢٠ الف ريال ماريا تريزا . وصلت الحملة الى بربرة

---

(٣٥) د . جلال يحيى: مصر الافريقية . ص ١٧٦ .

Journal of the Royal African Society 1935 pp. 269-282.

اسماعيل الى غوردون في ١٧-٩-١٨٧٥ .

(٣٦) ماكيلوب McKillop اسكتلندي عمل في البحرية البريطانية

واشترك في الحرب الاهلية الامريكية وعندما تقرر ارسال بعثة جوبا كلف ماكيلوب حيث كان يعمل بخدمة الخديوي بقيادة الاسطول البحري .

Hill: Biog. Dictionary pp. 201-204 — Douin III 3. A. pp. 567-582.

Crabites: Americans pp. 165-186.

(٣٧) وثائق عابدين افرنجي

Dass 71/4.

The Khedive to Gordon 27—9—1875.

حيث يقيم ماكيلوب باشا قائدها في ٢٥-٩-١٨٧٥ • وانضمت الباخرتان محمد على والطيف الى القافلة • وفي ٣٠-٩ وصلت الحملة الى رأس حفون فحضر شيخها ومعه بعض الاعيان لمقابلة ماكيلوب باشا وأعلنوا عدم تبعيتهم لسلطان زنبار • وعندما قدم لهم ماكيلوب هدايا من بينها ٢٠ ريال ماريا تريزا أكدوا رغبتهم في الاحتفاظ بالولاء لمصر حتى منطقة براوه •

وفي ١٦ تشرين اول ١٨٧٥ وصلت الحملة الى مصب جوبا وتعذر انزال رجالها مع معداتهم بسبب عدم ملائمة الساحل • ومن ثم تقدمت جنوبا فوصلت بلدة براوة في منتصف تشرين ثان ١٨٧٥ • وقابل شيخ براوه رجال الحملة المصرية ومعه باقي شيوخها وذكروا له ان براوه كانت في الماضي تابعة لهم أي لشيوخها ولكن الزمن سمح لسلطان زنبار باستخدام القوة لحمايتهم من سكان البادية بناء على طلبهم ووضع بعض جنوده فيها برغم انه عجز عن منع سكان البادية من التعدي عليهم<sup>(٣٨)</sup> •

تقدم الاسطول المصري الى قسمايو<sup>(٣٩)</sup> بعد ان ترك مائة جندي في

---

(٣٨) د. جلال يحيى: مصر الافريقية ص ١٧٩ •

د. شوقي عطا الله الجمل الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الاحمر من رضوان باشا الى مهردار الخديوي في ١٠-٥-١٨٧٥ وثيقة رقم ١٥٦ ص ٣٤٢ •

M.F. Shukry p. 86.

(٣٩) قسمايو: تقع بالقرب من مصب نهر الجوبا وهي ميناء صالح لرسو السفن • تألفت تلك المدينة آنذاك من عدة مساكن من الخشب واوراق جوز الهند • المساكن الحجرية لم تكن معروفة • واهمية قسمايو انها كانت مركزا هاما من مراكز التجارة الشرقية يقصدها التجار من الهند وزنجبار ومسقط ويحضرون معهم الارز والبصل وقصب السكر من الهند والتمر من مسقط والذرة من زنبار كما كان يرد اليها السمن والصمغ وريش النعام والغنم من داخل قارة افريقية • وكانت قسمايو الى

براهه • وكانت هناك حامية صغيرة تبع سيد برغسن سلطان زنبار بصفة شخصية وان لم يكن معترفا بها وبمجرد وصول المصريين واطلاقهم المدافع احتقالا بعيد الفطر ولى رجال هذه الحامية الادبار فدخلت القوة المصرية المدينة وطلب الاهالي الدخول في طاعة حكومة مصر وحرصوا البعثة على الاستيلاء على ممباسا ايضا كما حضر رؤساء وسلاطين جزر القمر Comor وطلبوا الانضمام الى مصر<sup>(٤٠)</sup> ولكن الحملة توقفت عند هذا الحد في انتظار انباء عن تقدم القوة المرتقبة من الداخل بقيادة غوردون •

انزلت مصر رجالها اذن اضطراريا في قسمايو لان العواصف عاقت اسفن عن انزال الجند عند مصب الجوبا وتعذر ذلك ايضا في خليج فورموزا • وأدى نزول جنود مصر مؤقتا في موقع يدعى سلطان زنجبار شيئا من النفوذ عليه الى ردود فعل عديدة اهمها تلك التي جاءت من رجال السلك القنصلي والبحرية والتبشير العاملين في زنبار •

لقد كان أول من تدخل ضمن مصر جون كرك فصل انجلترا في زنبار، برغم ما كان لمصر من افضال على البريطانيين وبرغم ما قدمته من خدمات

---

عشر سنوات سابقة على قيام بعثة جوبا من مصر مستقلة بإدارتها ثم هجم عليها افراد من القبائل المقيمة في رأس حفون ونهبوا سكانها واخرجوهم من ديارهم فاستنجدوا بسلطان زنبار الذي ارسل لهم حاكما على رأس بعض الجند كي يمنع عنهم تعدي اهل البادية ولكن هذه القوة لم تكن لها فاعلية تذكر • ومن المعروف ان قسمايو استخدمت ايضا كمركز هام لتجارة الرقيق • وكان بها قلعة حجرية قديمة رفع عليها علم زنبار منذ وصول تلك القوة المؤقتة التي جاءت من زنبار • د • شوقي الحمل: الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الاحمر - من رضوان باشا الى مهردار الخديوي في ١٠/٥/١٨٧٥ وثيقة رقم ١٥٦ ص ٣٤٣ •

(٤٠) د • جلال يحيى: مصر الافريقية ص ١٧٨-١٨١ •

M.F. Shukry: Equatoria pp. 86-87.

أعدن وللمنطقة كلها • وقد سافر تحقيقا لهذا التدخل على الباخرة الحربية البريطانية ثيتيس Thetis الى براوه في اواخر تشرين ثان ١٨٧٥ فوجد جنود مصر الذين اوقفوه وقائد الباخرة عند النزول الى الساحل للتعرف على شخصياتهم وعلى غرضهم من الزيارة فأدعى جون كرك رغبته في زيارة التجار الهنود بالبلدة باعتبارهم من رعايا بريطانيا ولكن القائد المصري لم يعترف بهذه الصفة لبريطانيا في براوه • وحاول كرك خلق حادث بين جنود مصر والبحارة البريطانيين الذين أرسلهم للساحل بحجة التنزه ولكن الجنود المصريين اضطروهم للعودة الى سفينتهم دون ان ينقادوا لاي احتكاك او يستجيبوا لاي استفزاز •

وعقب ذلك ارسلت السفينة انذارا للحامية المصرية بالسماح للقنصل كرك بزيارة التجار الهنود أو اطلاق النار على براوه وفوت المصريون على الانجليز الفرصة فلم يمانعوا في هذه الزيارة بشروط منها نزول كرك بدون أي حرس بريطاني وبصحبة قائد الباخرة الحربية فقط مجردا من السلاح وهكذا عادوا الى سفينتهم بعد ان قاموا بزيارة لبعض التجار ، ثم افلموا الى زنبار •

وسرعان ما أرسل كرك الى وزارة الخارجية البريطانية بأن التدخل المصري يهدد نفوذ سلطان زنبار - ذلك الستار الذي أراد الانجليز الاختباء وراءه لتحقيق اطماعهم في هذا الاقليم • وادعى كرك باطلا ان المصريين سمحوا بعودة تجارة الرقيق واشار الى ان وجودهم على الساحل يهدم السياسة البريطانية لانهم يحرضون الاهالي على التحول باخلاصهم وولائهم نحو خليفة المسلمين وسلطان تركيا وادعى ايضا ان مصالح الرعايا الهنود اصبحت مهددة على طول الساحل بالخطر •

ودفع كرك سيد برغنسن للكتابة الى الخديوي اسماعيل لاجلاء القوات المصرية والى لورد دربي وزير خارجية بريطانيا آنذاك للتدخل الى جانبه •



وكتب ايضا الى المقيم السياسي البريطاني في عدن الذي طلب الى السلطات البريطانية في الهند ارسال سفينة حربية حفاظا على نفوذ بريطانيا في زنجبار وشرق افريقية • ولكن نائب الملكة في الهند رفض التدخل واحال الموضوع الى وزارة الخارجية البريطانية • وسرعان ما تدخلت الصحافة البريطانية في محاولة لاثارة الرأي العام ضد التقدم المصري وكتب المستشرق بادجر مقالا افتتاحيا في جريدة التايمز بتاريخ ١-١٢-١٨٧٥ طالب فيه الدول الاوربية بالتدخل لايقاف المصريين ومنعهم من الحصول على مركز خاص في هذه البقاع (٤١) •

واقارارا للواقع التاريخي فان وزارة الخارجية البريطانية لم تكن غافلة عن تحركات هذه البعثة وقد نقل اليها في ١١-١١-١٨٧٥ من قبل فصلها في مصر ستانتون ما بلغ به من قبل حكومة مصر بشأن « ارسال بعثة او جماعة استكشافية للتقدم نحو منابع نهر جوبا وللسير مع مجرى هذا النهر نحو المحيط الهندي » و اضاف ستانتون بأنه ستتج من اتجاه تلك البعثة ومن تكليف ماكيلوب باستكشاف فورموزا ومصب نهر جوبا بأن البعثة تهدف ان امكن للاستيلاء على كل الاراضي الداخلة في الصومال حتى نهر جوبا •

وبعد ثلاثة ايام اي في ١٤-١١-١٨٧٥ كتب ستانتون ايضا الخارجية البريطانية بأنه يرى بعد التقائه بنوبار باشا وما دار بينهما من حديث بأن الخديوي لا يريد الادعاء بملكية بلاد الصومال حتى نهر جوبا جنوبا بل انه يرغب في السيطرة على الساحل فقط حتى خليج فورموزا من اجل اتاحة الفرصة أمام فتح منفذ لتجارة منطقة البحيرات الاستوائية

---

(٤١) د. جلال يحيى مصر الافريقية ص ١٨٣-١٨٥ •

برقيات كرك الى لورد دربي في ٢٩-١١، ٢، ٨/١٢/١٨٧٥ •

ومن هذا نرى ان مشروع فتح منفذ لحساب مصر على ساحل افريقية  
الشرقي اذا لم يكن قد كشف امره بمجرد البدء في الاعداد للحملة او  
بمجرد قيامها من السويس فانه لم يعد سرا منذ ١١-١١-١٨٧٥ •

وبرغم ذلك بقيت وزارة الخارجية البريطانية شبه ساكنة حتى نهاية  
شهر / تشرين ثان من عام ١٨٧٥ ٠٠٠ فهل كان ذلك انتظارا لتورط مصر  
التام في العملية استنزافا لقواها ٠٠٠ ام انتظارا لحدوث احداث تبرر تدخل  
بريطانيا ٠٠٠ مثل استنجد زنبار بانجلترا لانقاذها من الخطر المصري  
المزعوم؟!

وعلى كل فقد حدث ما كان متوقعا او مرسوما اذ تدخل ستاتون قنصل  
انجلترا في مصر بناء على تعليمات من بريطانيا وابلغ نوبار رئيس وزراء  
مصر بأنه يخشى «أن يكون الخديوي اسماعيل قد بالغ في اطماعه عند محاولته  
مد املاكه الى تلك المناطق وان هذا الاحتلال لساحل افريقية الشرقي الذي  
يخترقه خط الاستواء قد لا تفهم اهدافه قوى اخرى الامر الذي قد يدفعها  
حق الى الاعتراض على الامتداد المصري» •

وفي ٣-١٢-١٨٧٥ طلبت الحكومة البريطانية برقا ان يسحب الخديوي  
قواته من جميع مواقعها على ساحل افريقية الشرقي • وهددت علنا بأنه في  
حالة عدم الاستجابة فليس امام الخديوي الا ان يعد نفسه لانتهاء الاشكال  
بقوة السلاح • وانه لن يمكن تجنب ذلك ما لم يعلن فورا عن اعتزامه سحب  
جميع قواته من السواحل الافريقية •

ان التهديد الاول المستتر والثاني العلني اضافة الى علم الخديوي بمدى  
قوة انجلترا وبوجود اربع بواخر حربية بريطانية حول ساحل زنبار  
لم يترك لمصر مجالا للاختيار ، بالاضافة الى عدم قيام غوردون بالدور الذي  
آلى على نفسه القيام به ، فتنازلت مصر عن تنفيذ هذا المشروع - مشروع ايجاد

منفذ على ساحل افريقية الشرقية للمديرية الاستوائية وبالتالي للامتداد والسيطرة ان امكن على ساحل افريقية حتى خط الاستواء • ومن ثم ارسل الخديوي في ١٤-١٢-١٨٧٥ تعليمات محددة الى ماكيلوب عن خطوات الانسحاب من المناطق التي نزل بها رجال البعثة • وهكذا اخلت القوات المصرية المحطة التي انشأتها خارج براوه وذلك في منتصف شهر كانون نان ١٨٧٦ كما اخلت قسمايو بعد ايام أي في ٢٠-١-١٨٧٦ وعادت الى مصر فوصلتها في ٥-٢-٧٦ بعد ان سحبت جميع الاعلام التي رفعتها على المواقع التي نزلت باستثناء رأس حفون (٤٢) •

ان ما يتبادر الى الذهن استنادا الى ما جاء بالوثائق السالفة الذكر وكتابات بعض المعاصرين ومذكراتهم ، وقياسا على ما ترسب بالاذهان بشأن المخططات التي جرت بريطانيا على اتباعها بصورة شبه تقليدية ما يدعون الى ترجيح القول بأن انجلترا وعملاؤها من امثال غوردون عملوا على:-

اولا:- دفع مصر والمحرك الاساسي لسياستها اذ ذاك هو الخديوي اسماعيل شيئا فشيئا نحو التوسع والامتداد في افريقية ، وان يكن ذلك التوسع في مجال مصر الطبيعي ومن اجل تحقيق غايات انسانية متعارف عليها مثل الغاء تجارة الرقيق وادخال المدنية في وسط افريقية وفتحها للتجارة مما كان فيه ارضاء ايضا لاوربا الا انه كان بمثابة عبيء مالي مرهق لمصر

---

M.F. Shukry: Equatoria pp. 87-89 (٤٢)

F.O.: 78/3188. Telegraph Stanton Caire—5/12/1875.

اعلن فيه قرار الخديوي بالانسحاب

الياس الايوبي تاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل باشا ١٨٦٣-

١٨٧٩ ج ٢ ص ٧٢ •

د جلال يحيى: مصر الافريقية ص ١٨٥-١٨٦ •

بالإضافة الى الاعباء الأخرى التي تحملتها من أجل شق قناة السويس وتنفيذ المشاريع العمرانية التي بدأتها في مصر مما أدى الى أحداث أزمة مالية كبرى في مصر اتاحت الفرصة لبريطانيا بصفتها الدائنة الكبرى للتدخل في شئونها • وليس من شك في أنه لم يكن خافيا عن بريطانيا أو عن عملائها على الأقل أن هذه المسببات وهي الاعباء لابد أن تؤدي منطقيا الى الاستدانة وبالتالي الى الاستسلام للدولة الدائنة •

وثانيا :- دفع مصر عن طريق عملائها من أمثال غوردون الذين يشجعون مصر على الاستيلاء على بعض المناطق القريبة من زنبار الى الاحتكاك سواء عن قصد مسبق أو بدون قصد في النهاية بسلطان زنبار أو على أحسن الظنون الافادة من وقوع هذا الصدام واستغلال الفرص التي تترتب عليه بمهارة لصالح الاطماع البريطانية •

ثم قيام عملاء بريطانيا الموجودين على الجانب الآخر أي في زنبار وفي بلاط سلطانها من أمثال جون كرك سواء نتيجة تخطيط مسبق أو أيضا على أطيب الظنون لمقائيا بحكم نشاطهم وعملهم أو بحكم اطلاعهم على سير الأمور وتشبعهم بالاتجاهات البريطانية التوسعية ••• قيامهم بايهام السلطان بخطورة ما للتقدم المصري من آثار وما فيه من اعتداء على مجال نفوذه أو املاكه ودفعه الى الاستجداء بانجلترا والاتجاء لحمايتها •

وهكذا يتحقق لبريطانيا هدف مزدوج هو إيجاد الفرقة بين مصر وزنبار - برغم ما بينهما من علاقات ود قديمة - واستغلال الأحداث التي ستجتم عن ذلك بين الدولتين وتطوراتها خير استغلال حتى يتحقق لها في النهاية احكام السيرة بالاسلوب المناسب لها على زنبار أو على مصر أو عليهما - مصر وزنبار - معا أن امكن فتضرب عصافورين بحجر واحد • ولم يكن خافيا عن العيان بطبيعة الحال ما اكتسبته مصر وزنبار عقب

افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ من أهمية استراتيجية بالغة بالنسبة لطريق بريطانيا - الهند التجاري والحربي • وما كانت بريطانيا لتغفل هذه الأهمية من حسابها وخاصة ازاء ما استجد من تنافس اقتصادي واستعماري مرير بينها وبين باقي دول اوربا وخاصة فرنسا من أجل الحصول على مركز ممتاز في هذا القطاع •

ان التسلسل التاريخي للاحداث والنتائج التي حققتها بريطانيا في النهاية قد يعرزان الرأي السابق الذي خلصنا اليه •

وتأكيدا لهذا الرأي تتابع المواقف التي اتخذها كل من عميلا بريطانيا الذي يعمل احدهما تابعا لمصر ويعمل الثاني في زنبار وهما •

الاول - غوردون رجل بريطانيا المخلص ... الذي كلف من قبل مصر بادارة المنطقة العليا من منابع النيل والوسطى من افريقية التي عرفت باسم المديرية الاستوائية وهو أول من اقترح على مصر مشروع فتح منفذ نها على ساحل افريقية الشرقي لم يؤدي الا الى استنفاد جهد مصر ومالها دون طائل مع اصطدامها بزنبار •

والثاني - جون كرك قنصل انجلترا في زنبار الذي حرض سيد برغنس سلطان زنبار على الوقوف في وجه التقدم المصري وعلى الاستجداد ببريطانيا ثم طلب حمايتها فيما بعد •

اما فيما يتعلق بغوردون وهو أول من اقترح فتح هذا المنفذ على الساحل الشرقي فلنا ان نسجل الملاحظات التالية عنه •

١ - أغرى غوردون مصر على ارسال بعثة جوبا كما جاء في خطاب منه للخبديوي بتاريخ ٢١-١-١٨٧٥ استنادا الى ان احتلال مصر لهذا الخليج يضع المناطق البالغة الثراء من وسط افريقية تحت سيطرتها كما لوح بما يتوقعه من الحصول على مساعدة من قبل العمارة البحرية

البريطانية الموجودة بنزبار<sup>(٤٣)</sup>.

٢ - اقترح غوردون في ٢٩-١-١٨٧٥ على خديوي مصر ان يسمح له بترك الاشراف على مقاومة تجارة الرقيق وترك عمله في المديرية الاستوائية لسواء على ان يتوجه الى ممباسا لفتح هذا المنفذ . وهذا يدل على مدى اهتمامه بهذا المشروع ، وأكد على توقعاته بشأن الحصول على مساعدات من قبل «عمارتنا البحرية بنزبار»<sup>(٤٤)</sup>.

٣ - عندما تأخر الخديوي في الاستجابة لاقتراح غوردون - لظروف خارجة عن ارادته منها سفره الى استانبول للحصول منها على تنازلات عن بعض البلاد الساحلية شرق افريقية مثل زيلع وبربره وبولهار وتاجوره مما ساعد على انجاح المشروع الذي اقترحه غوردون فيما اذا تقرر تنفيذه، وبسبب ما ادت اليه خطابات غوردون المتتالية عن المكان المناسب الذي يمكن للبعثة المصرية ان ترسو عليه دون خطورة من بلبلة لحكومة مصر - هدد غوردون الخديوي بالاستقالة<sup>(٤٥)</sup>.

---

(٤٣) وثائق عابدين افرنجي

Dass 71/4 Letters from Gordon to Khairy Pasha.  
Lado 21 janvier 1875.

(٤٤) وثائق عابدين افرنجي

Dass 71/4 Gordon to Nubar Pasha 29/1875 & 31/1/  
1875.

(٤٥) حصل الخديوي اسماعيل على التنازل له عن زيلع وملحقاتها

في شهر/تموز ١٨٧٥ الرافعي . عصر اسماعيل ج ١ ص ١٣٢ .  
وثائق عابدين افرنجي

Dass 72/1 — Gordon to Maia 14 Mai 1875.

وثائق عابدين افرنجي

Dass 71/4 — Gordon to Khairy 23—9—1875.

٤ - ابلغ غوردون الخديوي في ٢٧-٦-١٨٧٥ بأن تقدم مصر نحو بحيرة فكتوريا يوجد لها الحق في الحصول على منفذ على الساحل ترسل منه المؤن والذخائر الى القوات المراقبة على خط الاستواء ويطلب اي معارضة دولية وخاصة ان مصر ما كانت تقدم تضحياتها الا من اجل القضاء على تجارة الرقيق - وهو المبدأ الذي ايده جميع الدول المتقدمة<sup>(٤٦)</sup>.

٥ - بينما ينتظر غوردون موافقة الخديوي على استقالته التي قدمها بسبب عدم وصول موافقة مصر على مشروعه وبعد ان أعد امتعته لكي تنقل الى مصر في طريقه الى بريطانيا تسلم خطابا من الخديوي ارسل في ٢٧-٩-١٨٧٥ ووصل الى وسط افريقية في ٢٠-١١-١٨٧٥ مضمونه الموافقة على المشروع ف سحب استقالته فورا<sup>(٤٧)</sup>.

وكتب لشقيقته - وموضع سره - بأن الخديوي لم ينفذ هذا المشروع الا ارضاء له ورغبة منه في الاحتفاظ به ومن ثم قرر البقاء بالمديرية الاستوائية وعدم التخلي عنه<sup>(٤٨)</sup>.

---

(٤٦) وثائق عابدين افرنجي

Dass 71/4 — Gordon to Khairy — Lado 27-6-1875.

(٤٧) وثائق عابدين افرنجي -

Dass 71/4 Maia to Gordon. 27—9—1875 & Dass 73/2— The Instructions of the Khedive to McKillop Pasha Guezireh, 17/9/1875.

وهذه التعليمات ارفقت بخطاب شامل ورد في وثائق عابدين افرنجي  
Dass. 71/4 — The Khedive to Gordon — Caire —  
Guezireh. 27/9/1875.

(٤٨)

R.L. Hill: Egypt in the Sudan p. 146.

M.F. Shukry: Equatoria p. 64.

ويمكن مما سبق ان يفهم ان غوردون كان متحمسا بشدة للزج بمصر في هذا المشروع مع بعض تحفظات شكلية وردت في بعض الاحيان ربما ذرا للرماد في العيون<sup>(٤٩)</sup>.

ولكن تنفيذ هذا المشروع وقد قبلت مصر القيام به كان يحتاج من غوردون الى دور خاص لا بد له من القيام به استكمالاً له وتحقيقاً لخطواته وفق ما رأى غوردون بالذات ووفق ما اقترح ألا وهو التقدم صوب بحيرة فكتوريا وتأكيد سيطرة مصر عليها - كما تعهد - وذلك لانها تمثل اول الطريق المؤدي الى ساحل افريقية الشرقي على أن يتقدم بعد ذلك نحو ذلك الساحل للالتقاء بالقوة التي طلب ارسالها من مصر.

وفي هذا المجال نسجل الملاحظات التالية:

١ - بدلاً من ان يتخذ غوردون الخطوات الايجابية اللازمة لتحقيق هذا المشروع بالتقدم نحو بحيرة فكتوريا كما كنا نتوقع من الملاحظات السابقة اذا بغوردون منصرف فيما بين شهر آذار وتموز من عام ١٨٧٥ وما

---

(٤٩) مع اقرارنا بما ابداه غوردون لحكومة مصر بشأن التريث في تنفيذ هذا المشروع لحين الاستيلاء على منطقة البحيرات الاستوائية وعلم الدول الاوربية بأمر هذا الاستيلاء الا ان غوردون ابدى اهتماماً بالغاً بسرعة التنفيذ كما وضع الحلول لكل ما يظهر مما يمكن ان يعترض تحقيق المشروع من صعوبات \* الامر الذي دفع مصر بمجرد موافقتها على المشروع الى الاسراع في انفاذ الحملة اعتقاداً منها (وقد مضى نحو عام تقريباً منذ تاريخ تقديم الاقتراح) بانتهاء غوردون من احكام سيطرة مصر على منطقة البحيرات وخاصة وهي تعلم ان الملك امتيسا سبق له الموافقة على وضع بلاده تحت حماية خديوي مصر بمقتضى معاهدة تاريخها ١٤-٧-١٨٧٤ كما ذكر شارلي لونك

P. Crabites: Americans in the Egyptian Army  
p. 168.



بعد ذلك التاريخ لاعداد حملة يقودها الايطالي جسي المعروف بنزغته المعادية للعرب الى بحيرة البرت في الجنوب الغربي بدلا من فكتوريا في الجنوب الشرقي رغم ان التقدم شرقا نحو الساحل الشرقي عبر اوغندا وبحيرة فكتوريا حيث الملك اميسا ملك اوغندا وتلبية لنداءاته المتتالية كان ايسر وأقل جهدا وتكلفة ان لم يكن فيه ايضا مصلحة مشتركة لكليهما اى نصر واوغندا<sup>(٥٠)</sup>.

٢ - نجح بالفعل بعض العاملين في المديرية الاستوائية من التابعين لحكومة مصر بحكم عملهم وممن يتسبون لجنسيات اجنبية غير الجنسية الانجليزية - وبالتالي هم بعيدون عن اطماعها الخاصة وعن اهدافها وعن التأثير بهما - نجحوا بالفعل في تحقيق التقدم نحو بحيرة فكتوريا بجهودهم الذاتية عمليا وبالتالي نحو الشرق ومن ذلك -

أ - بعثة شالي لونك الامريكى الفرنسى الاصل الذى اتصل بالملك اميسا ملك اوغندا في عام ١٨٧٤ ووفق في اقناعه بما يمكن ان يعود عليه من مكاسب وفوائد اذا ارسل ما لديه من عاج الى مصر بدلا من ارساله الى زنزابار • وعقد معاهدة معه بتاريخ ١٩-٧-١٨٧٤ قبل ذلك الملك بمقتضاها وضع مملكته تحت حماية مصر<sup>(٥١)</sup>.

ب - بعثة ارنست لينان وهو من اب فرنسي وأم حبشية وقد وصل الى دوباجا عاصمة الملك اميسا في ١١ نيسان ١٨٧٥ وحاول تنمية علاقات

---

(٥٠) جميل عبيد: المديرية الاستوائية ص ٩٤-٩٥ •

(٥١)

Chaillé-Long Bey: L'Egypte et Ses Provinces Perdues pp. 24-25.

محفوظات القلعة بالقاهرة - مجلة اركان الحرب - العام الثاني ج ٢ يناير ١٨٧٥ رقم ٣ ص ٤٦٨ جميل عبيد: ص ٩٥، ١٢٣ •

## الود والصداقة بين ملك أوغندا ومصر (٥٢).

ج - رحلة القائد المصري نور اغا على رأس قوة مصرية للاتفاق مع ملك أوغندا على انشاء محطتين عسكريتين تطلان على بحيرة فكتوريا • وقد وافق ملك أوغندا لا على مجرد انشاء محطة أو محطتين على بحيرة فكتوريا فقط بل انه وافق على انشاء محطة في عاصمته ذاتها دوابجا وعلق غوردون في خطاب منه لمصر على ان وضع هذه الحامية في عاصمة أوغندا كان بناء على الحاح اميسا وبذا يكون ملك أوغندا هو الذي قبل ان يتنازل بنفسه عن استقلال بلاده احكومة مصر • ومع ان هذه البعثة الاخيرة حققت اهدافها في النصف الاول من عام ١٨٧٦ اي بعد فشل بعثة جوبا الا انها بنجاحها تشير الى ان ارسالها في تاريخ سابق كان ايضا سيحقق لها مثل ذلك النجاح الذي حدث بعد فوات الاوان (٥٣) •

لقد كان غوردون على علم تام بامكانيات السيطرة على اميسا ملك أوغندا وليس أدل على ذلك من قوله في برقية ارسلها لمصر «... واذا كان امتيزى يجري ادنى مخالفة فمقتدرين على حجزه بدون تعب...» (أي انه اذا حاول الملك اميسا التملص من سيطرة مصر على بلاده فاننا نستطيع اعتقاله بكل سهولة) • ولكنه بدلا من أن يفيد مما حققه معاونوه من خدمات ومكاسب اذا به يعتمد اهمال الاشارة الى المعاهدة التي عقدها شالي لونك ثم اذا به يبعث بارنسنت لينان عقب عودته بعد التفاهم مع ملك أوغندا في مهمة شبه انتحارية قتل فيها • واذا به يأمر باستدعاء نور أغا من أوغندا ويصدر قرارا بسحب الفرق المصرية التي احتلت أوغندا وفي هذا ايقاف للتقدم المصري نحو فكتوريا وبالتالي نحو ساحل افريقية الشرقي •

(٥٢) جميل عبيد - المديرية الاستوائية ص ٩٦ •

(٥٣) انظر هذا البحث ص ١٣ هامش ١٧/ج •

ومما لا شك فيه انه يصعب علينا ايجاد تفسير لهذا التناقض في مواقف غوردون فهو يقترح المشروع ويصر عليه ويزج بمصر فيه ثم يتقاعس عن القيام بالدور الذي آلى على نفسه القيام به ثم يقف حائلا بين معاونيه من مصريين واجانب (غير انجليز) وبين تنفيذ بعض جوانبه فهو اذن غير جاد في تنفيذه سواء منذ البداية او عندما تنبه الى احتمال تصادمه مع اهداف بريطانيا واطمائها •

ولعل ما صدر عن غوردون خلال تلك الفترة فيه بعض ما يميظ اللثام عن هذا السر ويكشف عن سبب تضارب مواقفه او عبارة اخرى يكشف عن الجانب الحقيقي لاتجاهاته التي تتصف بعدم الرضاء عن التقدم المصري كلية نحو وسط افريقية وهي الخطوة الاساسية للوصول الى ساحل افريقية الشرقية • ومن ذلك ما يلي:-

١ - كتب غوردون الى شقيقته في ١-١١-١٨٧٥ «انا (يعني بريطانيا) نو قهرنا هذه البلاد (يقصد المناطق التي امتد اليها النفوذ المصري بوسط افريقية) لاستطعنا الى حد ما افادة المحكومين... ولكن بالاوضاع الحالية لا استطيع ان اتين ولو بصيصا ضئيلا من الامل في تحسين حال هذه البلاد أو رفع مستوى شعبها وذلك لان الحاكمين انفسهم على درجة كبيرة من التأخر حتى انه ليس بإمكانهم نشر الحضارة والمدنية بين سواهم»<sup>(٥٥)</sup>.

---

(٥٤) جميل عبيد: المديرية الاستوائية ص ٩٨-٩٩ •

(٥٥) المرجع السابق ص ١٠٣، ١٢٧ •

كتب غوردون نصا

“... If we conquered the country, we would at least in some measure benefit the conquered, but here I cannot say I see the least chance of the country being improved or the people benefited, the civilizens are so backward themselves that they cannot be expec-

٢ - اظهر سخطه الشديد على خديوي مصر خاصة عندما تسلم خطابا منه في ١٥-١١-١٨٧٥ يتضمن شكوى ادارة الخرطوم التي يتبعها غوردون من سحبه مبالغ كبيرة من خزينتها حتى انه اعد ثلاث برقيات للخديوي طلب فيها قبول انسحابه من العمل واختيار خلف له<sup>(٥٦)</sup> . وكأنه لا يبالي بالمعاناة التي تتحملها مصر ماليا .

فاذا علمنا ان جهود مصر في المنطقة الاستوائية وكشوفها وحربها ضد تجارة الرقيق بالاضافة الى بعثة جوبا قد كلفت مصر ما يقرب من مليون جنيه<sup>(٥٧)</sup> في ذات الوقت الذي لم تتجاوز فيه ميزانية مصر في العام الواحد اذ ذاك اربعة ملايين جنيه وفي الوقت الذي كانت تعاني فيه مصر من ديون باهظة بسبب فتح قناة السويس كان لنا ان نتساءل الى أي مصير سعى غوردون للالقاء بمصر فهو يزرع بها في مشروع يؤدي الى استنزافها وبغيرها عليه ثم يهدد بالاستقالة اذا ترددت في شأنه ومصر تخشى ان تفسر استقالته في اوربا على انها احتجاج لعدم اخلاص مصر في مقاومة تجارة الرقيق مما يجلب عليها اداء اوربا فتمسترضيه تجنبنا لاستقالته .

٣ - ان مزيدا من اتجاهات غوردون قد كشفت عنها مراسلات له وان جاءت تالية لبعثة جوبا بعدة اشهر الا انها تدل على الاتجاهات التي غلبت على تفكيره منذ فترة سابقة . جاء في رسالة منه بتاريخ تشرين اول ١٨٧٦

ted to civilize others..."

Allen: Gordon & the Sudan P. 61.

(٥٦) جميل عبيد: المديرية الاستوائية ص ١٠٤ .

Allen: Gordon & Sudan p. 62.

Hill: Colonel Gordon in Central Africa p. 146.

(٥٧) د . جلال يحيى: مصر الافريقية ص ١٩١ .

معبرا بها عما يجول في فكره ٠٠ » ٠٠٠ انه عندما تهتز جدران المنزل قبل انهياره لا يفكر المرء الا بالنجاة بنفسه تماما كما تفعل الفئران في السفن الغارقة أي في الهرب» •

٤ - وكتب ايضا ٠٠ بأن الاحوال في هذه البلاد الاسلامية وصلت الى الحد الذي ينبغي بحدوث أزمة عنيفة بها<sup>(٥٨)</sup> •

٥ - كتب في ذات الشهر - تشرين اول ١٨٧٦ لشقيقته بأنه في صراع عنيف بين ثلاث قوى تتنازعها هي اولاً ما لنفسه ولبدنه عليه من حق يدعوانه للتمتع بشيء من الراحة بعد كل ما بذله من جهد في السودان وبين القوة الثانية وهي عقله الذي يقول له « ما فائدة توسيع املاك مثل هذه الدولة فلديها تحت نفوذها من الاملاك اكثر مما تستطيع الاشراف عليه أو ادارته » وبين قوة ثالثة غامضة ، تدعوه الى الغض عن التفكير فيما سيحدث مستقبلا تاركا ذلك للمشيمة الالهية عاملا على فتح تلك البلاد كلية لا من أجل الخديوي و من اجل حكومته بل باخلاص اعمى ودون ادنى مناقشة<sup>(٥٩)</sup> •

ومن الواضح ان افكار غوردون واتجاهاته التي باح بها او التي تسربت منه لبعض اقاربه عن طريق المذكرات والرسائل التي كشف عنها التاريخ بعد مقتله لم تكن شيئا مما يدون أو يسجل فقط بل ان غوردون انطلق من المفاهيم التي غلبت عليها لكي ينفذ بايجابية واضحة ما انبنى عليها او يرتب عليها من اجراءات •

وقد بدا ذلك في اوغندا ذاتها في فترة لاحقة فبعد ان احتلتها قوة

---

(٥٨) جميل عبيد - المديرية الاستوائية ص ١٠٤ •

W. Butler: Charles G. Gordon p. 119.

(٥٩) جميل عبيد: الاستوائية ص ١٠٤ •

Pierre Crabites: Gordon p. 75.

مصرية تحقيقا للامتداد نحو وسط افريقية وساحلها الشرقي أمر بسحبها وإبرق لمصر بأن « سلطان متيزا متظاهر لي عدم صداقته ولذلك امنيتي فرغت منه وارادتي ترجيع عساكرنا» (٦٠) .

ومما سبق نرى ان غوردون قرر سحب جنود مصر من اوغندا بعد ان سيطروا عليها برضاء ملكها .

ولما كانت البرقية المبالغة الذكر بمثابة لطمة قاسية لسياسة مصر في وسط افريقية بادرت مصر بالرد عليها في ٧-١٠-١٨٧٦ برقية واجهت فيها غوردون بأقواله السابقة واجراءاته الاخيرة المتعارضة معها . وقد جاء بهذه البرقية «.....» . وحيث انه سبق لكم الابراق لنا بأن الملك اميسا قبل ان يكون تابعا لنا مع السماح لجنودنا بالبقاء في عاصمته وحيث أنه سبق لكم اظهار رضاكم عنه فقد اعلنا ذلك رسميا لقناصل الدول .... فاذا سحبتنا الآن جنودنا من مملكته .... كان في ذلك بلا شك اساءة كبيرة لشرف حكومتنا وكرامتها وتفاديا لهذا الموقف يهنا بقاء جنودنا في عاصمته .... وفي حالة وصول اشارتنا هذه بعد انسحابكم فعلا منها فلا بد من اتخاذكم كل السبل المؤدية لعودة جنودنا الى مراكزهم السابقة .... ونرجو افادتنا عن كل ما ستخذونه لاعادة القوات المصرية الى عاصمته ....» (٦١) .

ومع ما في هذه البرقية من حجة دامغة ومن اوامر صريحة الا ان

---

(٦٠) جميل عبيد: المديرية الاستوائية ص ١٠٦، ٤٦٢-٤٦٥ .  
وثائق عابدين عربي-دفتر ٤٢ وارد تلغرافات- صورة التلغراف الشفرة  
رقم ٨٧ ص ١٥٠ من غوردون الى خيري باشا في ١٢ رمضان ١٢٩٣هـ  
الموافق اول/تشرين اول ١٨٧٦ وورد في ٥/تشرين اول ١٨٧٦ .

(٦١) وثائق عابدين عربي- دفتر ٣١ عابدين صادر تلغرافات-  
صورة التلغراف العربي- الشفرة ٣٢١ ص ٧٠ من ارادة سنية الى غوردون  
باشا في ١٨ رمضان ١٢٩٣هـ الموافق ٧/تشرين اول ١٨٧٦ .

غوردون لم يطع أوامر الخديوي ولم يتحول عن قراره ولم يعد القوات المصرية الى اوغندا مستندا في ذلك الى حجج واهية<sup>(٦٢)</sup>.

والادهي من ذلك ان غوردون اصدر فور عودته الى السودان كحاكم عام له امره لامين بك (باشا) الذي عين مديرا للاستوائية بدلا منه وهو الماني الاصل يطلب منه الانسحاب كلية من جميع مناطق الهضبة الاستوائية التي وصل اليها المصريون .

وبرغم ما يدين به امين من فضل لغوردون اذ هو الذي اقترح تعيينه خلفاً له - بعد ان كان مجرد صيدلي بالمديرية - الا ان هذا لم يمنعه من ان يكتب واصفا أوامر غوردون بأنها «خالية من كل حكمة» ومن ثم تعتمد المماثلة في تنفيذها على اساس ان معظم المحطات التي طلب غوردون اخلاءها كلفت مصر الكثير وبدأت تنظم بعد الجهد الكبير الذي بذل فيها ، كما بدأت تدر ايرادا طيبا يغطي نفقاتها ويساعد على تغطية نفقات اجزاء أخرى من المديرية فضلا عن ان تلك المحطات كانت خير ما في المديرية من حيث الثراء في الانتاج وملاءمة الجو للصحة<sup>(٦٣)</sup>.

---

(٦٢) جميل عبيد: المديرية الاستوائية ص ١٠٦ ، ٣٩٠-٣٩١ .  
المرجع السابق ص ١٠٦ ، ٤٦٣-٤٦٥ .

وثائق عابدين عربي - دفتر ٤٣ عابدين وارد تلغرافات ص ٢٠٥  
صورة التلغراف العربي الشفرة رقم ١٢١ من غوردون باشا ١ سعادة خيري  
باشا صدر في ١٨٧٦/١٠/٢٢ وورد في ١٨٧٦/١١/١ ، دفتر ٤٣ عابدين  
وارد تلغرافات - صورة التلغراف العربي رقم ١٠٢ من غوردون باشا  
بالخرطوم الى خيري: باشا بتاريخ ١٨٧٦/١٠/٢٧ وورد في ٢٩-١٠-١٨٧٦ .

(٦٣)

G. Schweitzer : Emin Pasha, his Life & Work Vol. I  
pp. 67.

بل ان غوردون نفسه كتب لشقيقته في ٢١-١-١٨٧٥ «بأن اغنى بقاع الجنوب هي الاراضي المرتفعة بجوار الملك اميسا بينما كل ما عدا ذلك عبارة عن مستنقعات لا خير فيها»<sup>(٦٤)</sup>.

فكيف يأمر غوردون بجلاء مصر عن افضل ما وصلت اليه من بقاع وخاصة اذا علمنا ان ايرادانها فاقت مع الاستقرار مصروفاتها وهي التكاة التي طالما استند اليها غوردون في سبيل سحب القوات المصرية<sup>(٦٥)</sup>.

فان اضفنا الى ما سبق احتمالات شبه مؤكدة عن اكتشاف غوردون وجود تضارب بين مصلحة انجلترا ومصالح مصر في التقدم نحو وسط افريقية ... الامر الذي نلمسه فيما يلي:

١ - اشار غوردون في احد خطاباته لخيرى باشا بتاريخ ٧-٥-١٨٧٥ بما بلغه بشأن استيلاء انجلترا على ميناء ممباسا لحساب سلطان زنبار<sup>(٦٦)</sup>.

٢ - ما اشرنا اليه سابقا عن استشارة غوردون للمستكشف البريطاني برتون بشأن ما قد يكون لبريطانيا من مصالح تتعارض مع محاولة مصر ايجاد منفذ للمديرية الاستوائية على ساحل افريقية الشرقي<sup>(٦٧)</sup>.

ان تصرفات غوردون تثبت اخلاصه خلال عمله في تلك الجهات لم يكن لحكومة مصر التي عينته في مركز خطير مثل الذي وضع فيه بقدر ما

---

(٦٤) جميل عبيد المديرية الاستوائية ص ١٠٩-١١٠ .

المرجع السابق ص ١١٠ .

B.M. Allen: Gordon & the Sudan p. 37.

(٦٥) جميل عبيد: المرجع السابق ص ١١٠-١١١ .

(٦٦) البحث الحالي : ص ١٨٧ هامش ١٦ .

(٦٧) البحث الحالي: ص ١١٠ .



كان لانجلترا (٦٨) •

ان غوردون بقراراته التي اتخذها لسحب القوات المصرية من اغنى بقاع وسط افريقية لم يقصد كما يبدو لنا الا ازاحة مصر وافساح الطريق امام انجلترا للسيطرة على هذه البقاع الامر الذي تحقق فيما بعد حيث وضعت انجلترا يدها على اوغندا بالاضافة الى جانب كبير من الساحل الشرقي لافريقيا المواجه لاوروغندا وبالاضافة الى زنبار ايضا •

ولهذا السبب كان عدم تنفيذ غوردون لدوره الاساسي في بعثة جوبا فترك مصر وبعثها لمصيرهما المحتوم تحت رحمة الاستغلال البريطاني للفرصة التي ستتاح له •

اما الموقف الذي اتخذته جون كرك الذي عمل كقنصل لبريطانيا في زنبار من ١٨٦٦ - ١٨٨٧ - وكمستشار شخصي للسلطان سيد برغسن من ١٨٧٠ - ١٨٧٨<sup>(٦٩)</sup>، فانه يتلخص في الافادة الذكية من الظروف الداخلية او من الصراعات الداخلية واستغلالها لصالح بريطانيا ثم المبالغة في تجسيم الخطر المصري حتى يلجأ برغسن لبريطانيا طالبا حمايتها •

ان هناك عاملان محلليان اتاحا المجال لبريطانيا للحصول على المركز الاول في هذه البلاد زنبار وعمان •

العامل الاول هو الصراع الداخلي الذي نشب بين افراد أسرته «البوسعيد» بعد وفاة عاهلها الكبير السيد سعيد ، اذ لم يكن لاي من ابنائه مثل ما كان له من مواهب وقدرات سياسية • ولذلك فقد انقسمت امبراطوريته بمجرد وفاته الى قسمين فيسيطر ثويني على القسم الاسوي في مسقط وعمان

---

(٦٨) د • شوقي عطا الله : سياسة مصر في البحر الاحمر ص ٢٦٣-٢٦٤ •

(٦٩) المرجع السابق ص ٢٧٠ •

بينما ركز ماجد سيطرته على القسم الغربي وحاول كل منهما توحيد  
الامبراطورية ثانية تحت زعامته منفردا •

وخلال هذا النزاع بين ثويني وماجد استطاع ثويني ان يستميل اليه  
أحد اخوته وهو سيد برغش بن سعيد الذي كان يعمل من ناحيته على خلع  
أخيه ماجد ليحل محله في الحكم<sup>(٧٠)</sup> •

وهنا حاولت فرنسا التدخل لتعزيد سيد برغش وثويني كوسيلة تنفيذ  
منها الى تحقيق اطمائها الاستعمارية المضادة لاطماع بريطانيا ولكنها لم تفرز  
شيء لانها لم تحسن استخدام الفرص التي اتاحت لها •

اما حكومة بريطانيا فكانت اسرع تحركا وأقدر على العمل • فعندما  
تأكد لها ان هناك تخطيطا مشتركاً أو تعاوناً بين برغش والفرنسيين لم تتردد  
لحظة في اعتقال برغش ثم نفته الى بومباي حيث بقي الى عام ١٨٦١ • ولم  
تفرج عنه الا بعد ان قدم العهود وحلف بأغلظ الايمان على ألا يقبل  
الاستجابة لتحريض الفرنسيين والا يعمل معهم<sup>(٧١)</sup> •

وأخيرا انتهى هذا النزاع بقبول تحكيم بريطانيا وهذه حكمت بالفصل  
بين اقليمي مسقط وزنبار واستقلال كل منهما عن الآخر على ان تدفع  
زنبار ٤٠ ألف جنيه استرليني لعمان تعويضا لها عن قلة مواردها<sup>(٧٢)</sup> • ان  
التجاء الاخوين لبريطانيا وتسمييمهما لتحكيمها يكشف عن مدى ما كسبته

---

(٧٠) د • جمال زكريا: دولة بوسعيد في عمان وشرق افريقية  
ص ٢٦٠ •

(٧١) د • جمال زكريا: المرجع السابق ص ٢٦٤-٢٦٥ •

(٧٢)

Lander R.G. Oman since 1856 pp. 273-276 Ian Skeer :  
Muscat & Oman pp. 46-49.

بريطانيا خلال الصراع بينهما من نفوذ في بلاط كل منهما •

اما العامل الثاني الذي ساعد بريطانيا على رفع مستوى نفوذها في  
زنزبار فهو ما أخذت به نفسها من قيادة حركة المقاومة في الاتجار بالرقائق •  
وكان من ذلك أن قررت بريطانيا في ايلول ١٨٧٢ ارسال بعثة ترأسها  
سير بارتل فريير من المترعمين لمقاومة تجارة الرقيق في البرلمان البريطاني  
لاتخاذ خطوات حاسمة في طريق الالغاء الفعلي والنهائي لهذه التجارة •  
واستطاع هذا بعد القيام بمظاهرة عسكرية بحرية ارهاب سيد برغش وارغامه  
على التوقيع على معاهدة بتاريخ الخامس من شهر حزيران عام ١٨٧٣ سمح  
بمقتضاها لمركب بريطاني حربي بالاشتراك في مطاردة تجار الرقيق والقبض  
عليهم ولو داخل نطاق المياه الإقليمية لزنجبار • ومن ثم نرى أن سيدبرغش  
اصبح واقعا داخل مدى مدفعية بريطانيا البحرية وتحت تهديدها وان لم يكن  
هناك ما يمنع من رغبته في التملص من ربقته ان سنحت له الفرصة • ومن  
ثم كان على بريطانيا ان تبحث عن اسلوب آخر أو ان تحسن استغلال ما قد  
يستجد من فرص لتضييق الخناق عليه حتى يضطر للقيام بالخطوة الاخيرة  
وهي الاستسلام نهائيا لاطماعها او بعبارة اخرى لارغامه على طلب حماية  
بريطانيا وهو أقرب ما يكون للاقتناع والرضا فيدخل في نطاق الاستعمار  
البريطاني مختارا ولو ظاهريا امام العالم مما لا يسمح لاي دولة اوربية  
أخرى متطلعة لذات المجال كفرنسا أو ألمانيا بادخال انفسها في الوضع (٧٣) •  
وقد استطاع جون كرك قنصل انجلترا بزنجبار الافادة مبدئيا من

---

Landen R.G. Oman since 1856 pp. 207-208 (٧٣)

F.O. 84/1371 — ALEX 23 June — 1873 — Vivian to  
Granville.

F.O. 84/1441 — Slave Trade I 1874

M.F. Shukry—Equatoria p. 131.

نفوذ بريطانيا المتزايد ففتح المجال أكثر وأكثر امام تجار الهند للسيطرة على تجارة الساحل الشرقي لافريقية من رأس دلجادو الى ممباسا<sup>(٧٤)</sup>. واستطاع ايضا ان يفرض احترام كلمته وكلمة بريطانيا وان يمارس مؤامراته في بلاط زنبار من اجل استغلال بعثة جوبا وازاحتها<sup>(٧٥)</sup>. ومن هنا كان تحرشه بهذه البعثة • ومن اجل هذا ايضا دفع برغش الى الاستنجاد ببريطانيا وطلب حمايتها<sup>(٧٦)</sup>.

وهكذا تيسر تحقيق الحلقة الاخيرة من المخطط البريطاني الا وهو ايقاع الفرقة بين مصر وزنبار ••• الامر الذي يفتح مزيدا من المجال امام بريطانيا للتدخل بينهما بمجرد استنجاد ايهما او كليهما بصورة من الصور فتفيد من كلا الطرفين او من ايهما أكثر ارتساء في احضانها او أكثر استسلاما لاطماعها وأهوائها • وفي هذا وجه من وجوه سياسة بريطانيا ودبلوماسيتها التقليدية التي قامت على مبدأ فرق تسد •

واذا كانت زنبار هي الأكثر تخوفا من مصر وبالتالي أكثر حاجة لبريطانيا وأكثر استسلاما لها ••• واذا كان لبريطانيا مصالح أكثر وضوحا بزنبار بفضل قربها من الهند او سيطرة تجارة الهند البريطانية على معظم تجارتها او لاي اسباب اخرى ••• فقد اختارت بريطانيا ان تستجيب لنداء سلطانها بحمايته من اطماع مصر وبعثتها • وكانت هذه هي الخطوة الاولى التي اعقتها بفرض حماية بريطانيا الرسمية أي باعتراف الدول على زنبار ابتداء من عام ١٨٩٠<sup>(٧٧)</sup>.

وقد ادركت مصر بعد فشل بعثة جوبا بسبب تدخل بريطانيا أن

---

M.F. Shukry : Equatoria p. 398 (٧٤)

Douin : L'Empire Africain III 299 Notre 1. (٧٥)

• د. جلال يحيى : مصر الافريقية : ص ١٨٣-١٨٥ (٧٦)

(٧٧) تم الاعتراف بالحماية البريطانية على زنبار بمقتضى معاهدة

في ١٨٩٠/٨/٥ بين انجلترا وفرنسا •

لاسييل امامها لتحقيق السيطرة على سواحل الصومال أو جانب منها حتى رأس حفون على الأقل دون التفاهم مع انجلترا او قبل ان تضيء هذه لها الضوء الاخضر •

وهذه لم تقبل الاعتراف بسلطان الحكومة المصرية على بلاد الصومال الى رأس حفون فقط الا بعد ان قبلت حكومة مصر في ٧-٩-١٨٧٧ التوقيع على معاهدة تخول الحكومة الانجليزية الحق في تعيين مأموري قنصليات في جميع المواني والجهات الموجودة على ساحل البلاد المذكورة والا بعد ان قبلت ايضا السماح للسفن الانجليزية بمراقبة تجارة الرقيق وضبط جميع السفن التي تراها مشغلة بهذه التجارة في جميع السواحل الموجودة بالصومال التابع لمصر وارسالها الى المجالس القضائية المختصة<sup>(٧٨)</sup> •

ان ما قبلته مصر كان يعني بصورة أو اخرى السماح للنفوذ البريطاني بالتوغل لا على ساحل الصومال حتى رأس حفون فقط بل ايضا على المواني الاخرى التي حصلت عليها مصر بالتنازل من الدولة العثمانية مما لم يكن لبريطانيا علاقة او نفوذ يذكر بها فكان ما كسبته بريطانيا من هذه المعاهدة اكثر مما كسبته مصر •

وهكذا حاکت بريطانيا خيوط مؤامرتهاا بمهارة وواقعت بين مصر وزنبار بفضل عميلاها المخلصين غوردون في الاولى وكرك في الثانية • ووصلت الى بسط نفوذها على زنبار اولاً ثم على مصر ثانياً وهو اقصى ما طمعت فيه دبلوماسيتها من نجاح •

---

Cambridge Modern History Vol. XII p. 130-131.

(٧٨) وثائق عابدين الامر الصادر الى غوردون حكمداً الاقاليم السودانية - دفتر ١٨ اوامر عربي وثيقة رقم ٣ ص ٨ د شوقي الحمل: سياسة مصر في البحر الاحمر ص ٢٧١-٢٧٢ •

## المصادر والمراجع

- ١ - وثائق ومحفوظات عابدين بالقاهرة عربي وافرنجي .
- ٢ - محفوظات قلعة محمد علي بالقاهرة - مجلة اركان الحرب - اعداد متفرقة .
- ٣ - الوقائع المصرية دار الكتب المصرية بباب الخلق بكورنيش النيل .
- ٤ - وثائق وزارة الخارجية البريطانية  
F.O. 84/1371  
F.O. 78/13188.
- ٥ - د . احمد فخري: مصر الفرعونية (القاهرة ١٩٧١) .
- (٦) د . جلال يحيى : مصر الافريقية والاطماع الاستعمارية في القرن التاسع عشر ( القاهرة ٩٧ ) .
- ٧ - د . جمال زكريا : دولة بوسعيد في عمان وشرق افريقية (القاهرة ٦٨) .
- ٨ - د . جميل عبيد : المديرية الاستوائية (القاهرة ٦٨) .
- ٩ - شفيق غربال : محمد علي الكبير (القاهرة ١٩٤٤) .
- ١٠ - د . صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي (القاهرة ١٩٧٤) .
- ١١ - د . شوقي عطالله الجمل: سياسة مصر في البحر الاحمر (القاهرة ١٩٧٤) .
- ١٢ - عبدالرحمن الرافعي: عصر اسماعيل ج١ ، ج٢ (القاهرة ١٩٤٨) .
- ١٣ - محمد صابر: مصر تحت ظلال القراءة (القاهرة ١٩٣٦) .
- ١٤ - د . محمد فؤاد شكري: مصر والسيادة على السودان (القاهرة ١٩٤٦) .
- ١٥ - Allen, B.M., Gordon and the Sudan (Lond. 1931.
- ١٦ - Baker S.W. Ismailia Vol. I & II (Lond. 1874.

- Butler W. Charles G. Gordon (Lond. 1898. - ١٧
18. Chaillé-Long: L'Egypte et Ses Provinces Perdues (Paris 1892). - ١٨
19. Les Trois Prophetes. Le Mahdi-Gordon- Arabi (Paris 1886). - ١٩
20. My Life in Four Continents Vol I (Lond. 1912). - ٢٠
21. Crabites P.: Ismail, The Maligned Khedive (Lon. 1933). - ٢١
22. Americans in the Egyptian Army (L. 1938). - ٢٢
23. Douin G.: L'Empire Africain Tome III. Caire 1936). - ٢٣
24. Fisher H.A.L.: A Hist. of Europe Vol. III (Lond. 1942). - ٢٤
25. Harbour H.: 19th Century Explorens (London). - ٢٥
26. Hill G.B.: Colonel Gordon in Central Africa 1874-79 (London 1881). - ٢٦
27. Hill R.L.: Egypt in the Sudan (London).